

Journal of University Studies for inclusive Research

Vol.1, Issue 4 (2020), 979–993

USRIJ Pvt. Ltd.,

اللحن اللغويّ

(صلة العجم باللحن بين الواقع والخيال)

إعداد الباحث : زكريا كامل راجح مقدادي

ZAKARIA KAMEL RAJEH MEGDADI

ماجستير في اللغة والنحو / جامعة اليرموك / 2012

بريد إلكتروني: zakariyamegdadi@yahoo.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تناول الأسباب الحقيقية لانتشار اللحن اللغويّ بعيداً عن الإخباريات المبتورة الأسباب والتي أشبعنا بها دون تأمل أو تمحيص، فيتناول الباحث السبب الأول الذي تعجُّ به الكتب والمناهج ومفاده بأنّ السبب الرئيس وراء ظهور اللحن اللغوي هو اختلاط العرب بالعجم، ثم علاقة النحّالين ومختلقي الشعر من الذين كانوا يختلقون الشعر ويبدّلون ويغيّرون ما يغيّرون على أهوائهم، ثم يتناول السبب الثالث وهو صدور اللحن عن ذوي الشأن ووقوعه في مجالسهم فيأخذوه العامة والحضور على أنّهم من ذوي السليقة النقية مما يدعوهم لتقليدهم أو الوقوع في خطئهم، انطلاقاً إلى السبب الرابع وهو اختلاف النحاة في المسألة الواحدة مما يجعلهم يسوّغون البحث عن تخريجات صحيحة - من منظورهم - لما هو غير أصيل في اللغة.

ويتناول الباحث هذه الأسباب جميعها بالاستقراء والاستنباط والمناقشة والبحث وسوق الأدلة ومناقشة العقول ليصل إلى النتيجة الأخيرة وهي أن للغة مستويين: عامي وفصيح أي اللغة الرسمية في المكاتبات والسياسة والشعر والأدب والمستوى العامي الذي يتحدث به العامة في الأسواق في البيع والشراء والمزاح والأحاديث اليومية غير الرسمية؛ مما يبرئ العجم من القصة التي لازمتهم زمناً طويلاً رغم عدم اكتفاء الأدلة.

كلمات مفتاحية: اللحن اللغوي، العجم ، اللغة الرسمية ، العامة، الرواة النحالون (الوضاعون)، الإخباريات.

Abstract

This research aims, mainly, to study the real causes that lay behind linguistic prosody far from unrealistic tales which we have received without contemplation and scrutiny. The researcher includes four causes behind linguistic prosody which is plentifully found in our books and curriculum. First, mixing with non-Arabic speakers (Ajam). Second, existing a relationship between non-Arabic speakers and poets, those poets who invented untraditional ways to formulate poetry according to their personal whims. Third, emerging linguistic prosody between elites among their prestigious gatherings leading public and attendees of pure tongues to imitate them or to fall into their mistakes. Fourth, emerging fundamental differences between grammarians themselves in a specific linguistic case which makes them justify such a case as correct, from their own perspectives, of what is not original in the languages itself.

The researcher deals with all those causes through induction, deduction, discussion, research, discussion of minds, and inference in order to reach

a final conclusion which indicates that the language have two levels: standard and colloquial. The standard level which is used in official writings, politics, poetry, and literature. The colloquial level which is used by public in markets, trade, joking, and daily unofficial talks, the thing which exonerates the Ajam from the story that haunted them for a long time despite the insufficiency of the evidence.

Keywords: Grammatical mistakes, non- Arab (Ajam), official language, common language, the liar narrators, tales.

المقدمة :

تعد ظاهرة اللحن في اللغة من الظواهر الجدلية التي يختلف فيها العلماء، وينقسموا بأرائهم قسمين مختلفين، قطبين لا يلتقيان، ولدى أيّ تماسّ بينهم تتافر في الأفكار. وكثير من موضوعات فقه اللغة فإن لعلماء السلف آراءهم التي يرونها رائقة لهم، صحيحة لمنطقهم، وللمحدثين آراءهم التي يرونها رائقة لهم، صحيحة لمنطقهم، بما تقتضيه الدلائل، والوسائل المتاحة، بين مناصرين ومفنديين .

وتتناول الدراسة ظاهرة اللحن - نشأتها، وأسبابها - مع التركيز على السبب الرئيس الذي يراه أغلب علماء العربية وهو: اختلاط العرب بالعجم، وعلاقة هذا الاختلاط بتفشي اللحن وانتشاره .

ويسير منهج الباحث في هذه الدراسة على النحو الآتي :

التقديم للبحث، ويليه تمهيد يخدم الموضوع، يبدأ بتعريف اللحن، ويليه عرض لمعلومات عامة تمهيداً لما هو آت .

ثم يتناول الباحث نشأة اللحن كقسم مستقل تحت عنوان (أقوال في نشأة اللحن) .

ثم يتناول أسباب اللحن على شكل نقاط أربع، تدور حول علاقة العجم باللحن كسبب رئيس تخدمه الأسباب الأخرى . ولا يقف الباحث مكتوف اليدين، بل يتناول الآراء جميعها بالقبول، أو الرفض بعد إمعان النظر فيها جميعاً .

ويُتبع الأسباب استدرாகاً يدور حول قضية الازدواجية اللغوية (العامي والفصيح) .

ثم يختتم الدراسة بخاتمة يبرز فيها أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته المطولة والدقيقة .

التمهيد :

التعريف باللحن: اللحن: الخطأ الواقع في كلام المتحدث بالفصحى سواء كان واقعاً في النحو، أم في الصرف، أم في أيّ من مستويات اللغة ككل . " لحن لحنًا ... أخطأ في الإعراب وخالف قواعد اللغة." (مجمع اللغة العربية، 2009م، ص303)

" اللحن: ما تلحن إليه بلسانك، أي: تميل إليه بقولك . ومنه قول الله - عزوجل :-

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [سورة محمد، الآية 30] (الفراهيدي، تحقيق:المخزومي، 1409هـ، ج3، ص230).

فموضوع اللحن : الخطأ الواقع في المستوى الفصيح في اللغة؛ لنقص المعرفة أو لغيره .

غير أنّ علماء السلف كلّما تطرّقوا لموضوع اللحن كانوا يحيلون سببه الرئيس إلى سبب خارج عن اللغة لا داخل فيها، ألا وهو اختلاط العرب بالعجم . فالعجم في نظر علمائنا الأوائل لا بل في نظر معظم علمائنا إلى عصرنا الحالي هم سبب فساد اللغة ، هم المتهمون، وهم المجرمون. وليس من الواجب علينا أن نعتبر أنّ مقولة علمائنا هذه مسلمة لا شية فيها .

لكنّ ما يدعوننا إلى النظر والتبصّر بالقبول، أو الرفض أنّ هذه المقولة لا تعدو كونها مجرد إخباريّة، أو رأي؛ وعليه تأتي شرعيّة هذه الدراسة، فالرأي يحتمل الخطأ المطلق كما يحتمل الصواب المطلق، ويحتمل الخطأ غير المطلق كما يحتمل الصواب غير المطلق .

ومن الأمور المسلّمة التي لا تنتطح فيها عنزان أن العجم غير العرب، وأنهم متهمون سواء كانوا في ديار العرب، حيث كانوا سيخطئون في ديار العرب، فيسمعهم السامعون ويقلدتهم المقلدون بعد ضياع سليقتهم اللغوية النقية - كما يرى علماؤنا - أم كانوا قاطنين ديارهم والعرب يأتون إليهم، فبذا يتحقق الاختلاط، فتختلط الألسن، أم كانوا مجاورين ديار العرب وبذا يكون الاختلاط. وما زلنا ندرس هذه الآراء تلقياً، فنُشبع بها، دونما تبصّر أو إعمال للعقل، نتلقفها بأفواهنا لنحدّث بها صغارنا وتلامذتنا الذين لا يكذبون رأياً .

فمن الأولى لنا أن لا نسلم بمقولة إن العجم هم الذين أفسدوا اللغة إلّا إذا كانت لدينا الدلائل المقنعة المسكتة .

ويبدو أن الذي جعلنا نسلم بمقولة إن العجم هم الذين أفسدوا اللغة هو أنّ العربية تحنل قدسيّة عظيمة في نظر أصحابها .

ولأنّ العربية تحنل قدسيّة عظيمة في نظر أصحابها ولا سيما علماء العربية المتعصبين لها؛ فقد استأنسوا لأنّ تكون أسباب عيوبها خارجة عن اللغة لا داخلة فيها .

وقبل الخوض في أسباب اللحن، وعلاقة اللحن بالعجم تحت عنوان مستقل، لا بدّ لنا أن نتناول نشأة اللحن وأوليّاته :

أقوال في نشأة اللحن :

تزعم الإخباريات أن الأنفاس الأولى للحن بدأت بدخول الإسلام بلاد العرب، وانتشار الإسلام انتشارًا سريعًا واسعًا، وإكبه انتشار اللحن انتشارًا سريعًا واسعًا أيضًا. (مطر، 1981م، ص33) فيرى متبنّو هذه الإخباريات أنّ اللحن مرتبط بانتشار الإسلام بين الشعوب المختلفة عربية، وغير عربية، وتوحيد الشعوب تحت ظل راية الحق أمة موحدة لدين موحد؛ وعليه فالأولى لغير العرب تعلّم العربية؛ لارتباط الدين باللغة العربية قرآنًا، وسنةً، وشعائر، وعبادات . مما يجعل من الصعوبة بمكان على ناطقي اللغات الأخرى - بمستوياتها المختلفة ، وأساليبها المختلفة- الإحاطة بعلوم اللغة العربية بأساليبها الختلفة، ومستوياتها المتنوعة . فسرعان ما يقع غير العربي بغلطات كثيرة، سواء كانت صوتية، أم نحوية، أم صرفية، أم دلالية، أم غيرها .

ومن الإخباريات في أوليّات اللحن في اللغة ما يذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين " قالوا : وأوّل لحن سمع في البادية : هذه عصاتي، وأوّل لحن سمع في العراق : حيّ على الفلاح " (الجاحظ، أبو عثمان، ص223) .

وليس من دليل يثبت صحة هذه المقولة، بل ليس من دليل يثبت أوليّة اللحن، وكل ما يصلنا لا يعدو كونه مجرد إخباريّة لا تستند إلى مرجعيّة واضحة ودقيقة، وما ينقله الجاحظ خير دليل على

مثل هذه الإخباريات المبتورة المرجعية . حيث ابتدأ مقولته بـ " قالوا " بغياب أصحاب المتن،
وغياب السند .

ويرى الدكتور عبد العزيز مطر أنّ أول ما ظهر من اللحن كان في المستوى النحوي، وتمثّل
في الإعراب وأما أخطاء العجم فكان " أكثرها في نطق الأصوات العربية التي لا توجد في
لغاتهم، مثل النطق بالعين همزة في قول زياد النبطي لغلامه : من لدن دأوتك إلى أن قلت : لبيّ
ما كنت تصناً، أي: دعوتك ، وتصنع " . (مطر، 1981م، ص34)

إنّ من البديهي أن نسلّم بلحن غير العرب في المستوى الصوتي كون بعض الأصوات غريبة
عليهم في جنسها وكيفية نطقها. ولكننا من غير البديهي أن نسلّم بتأثير اللحن في المستوى
الصوتي في اللغة، تأثيراً واضحاً أو ملموساً يؤدي بطريقة أو بأخرى إلى فساد اللغة . أما اللحن
في الإعراب فالأولى لنا النظر إليه من زاوية أوسع . دونما حصرٍ لأسبابه في قرينه التقليدي

(العجمي) الذي لا حول له ولا قوة للإحاطة بمستويات اللغة ولا سيما المستوى النحوي المتمثّل
في الإعراب . وهي أنّ سبب اللحن في الإعراب يكمن في نقص المعرفة اللغوية للمتحدّث فإن
كان ابن اللغة يلحن في الإعراب، فمن غير المنصف أن نعيب على العجمي لحنه بلغة ليست
بلغته .

ومن المؤكد أنّ الأصل هو صاحب التأثير الأقوى بالدخيل وليس العكس، كما من المؤكد
أنّ القوي هو صاحب التأثير الأقوى بالضعيف وليس العكس . والعجم بالنسبة للعرب في ديار

العرب هم الأضعف وهم الدخلاء، فليس للعجمي الهزيل البنية اللغوية والمرجعية القانونية أن يؤثر بلغة ذلك العربي العظيم البنية اللغوية والمرجعية القانونية .

وكما تقدّم سالفاً أنّ علماءنا قد أشبعوا، وأشبعونا بمقولة : إن العجم سبب اللحن، ارتأينا أن نعرض أسباب اللحن تحت عنوان مستقل .

أسباب اللحن :

يرى علماء العربية - غير قليلٍ منهم - أنّ السبب الرئيس في تفشي اللحن هو اختلاط العرب بغيرهم، إلى جانب عوامل أخرى ساعدت في انتشار اللحن .

أولاً : اختلاط الفصحى بغيرها من اللغات : " عندما نبحث عن الأسباب التي أدت إلى ظهور اللحن بمعنى (الخطأ) أول ما ظهر، ثم انتشاره في الفصحى من بعد، لا بدّ أن نجد أمامنا سبباً أول ورئيساً، وهو : (اختلاط تلك الفصحى بغيرها من اللغات) نتيجة اتصال المتكلمين بها

واختلاطهم . " (سليم، 2006م، ص14) " ... قصدوا من خلالها الحفاظ على لغة القرآن الذي قدر الله له أن ينتشر . بجهود أبنائه . في أنحاء واسعة من الأرض، وأن يسارع أناس من ألوان وألسنة شتى للدخول في دينه وتعلّم لغته، فخشي أن تتحرف أصوات العربية بتأثرها بأصوات تلك اللغات " (عمارة، مجلة مجمع اللغة العربيّة، 67) .

بإمعان النظر في الاقتباسين السابقين نجد ملمحين رئيسيين قد اتفق عليهما معظم علمائنا، أمّا الأوّل فهو أن السبب الرئيس وراء اللحن وهو : اختلاط العرب بالعجم، وأمّا الثاني فهو أن السبب الرئيس وراء اختلاط العرب بالعجم بصورة كبيرة هو : ظهور الإسلام وانتشاره بين الأمم .

فلنا أن نسلم بالملح الثاني، مع وضع علامات استفهام كثيرة وراء الملح الأول .

ثانياً : إقدام كثير من الرواة على وضع الشعر واختلاقه : كحمّاد الراوية الذي تقول فيه الإخباريات إنه كان لحائناً، وتلميذه خلف بن حسان، وغيرهم ممن كانوا يبدلون وينحلون وينسبون الشعر لغير أهله، وأكثره من تلفيقهم . (انظر: سليم، 2006م، ص16)

وقد عدّ علماء العربية مشكلة الرواة الوضّاعين مع اللحن عاملاً مساعداً في تفشي اللحن ولم يعدوها عاملاً رئيساً، فالعامل الرئيس - كما أسلفنا - في رأيهم هو اختلاط العرب بالعجم.

ويرى الباحث أنّ الرواة الوضّاعين براء من تفشيّ اللحن براءة الذئب من دم يوسف - عليه السلام - لأن الرواة الوضّاعين - على قلتهم - لا يمثلون سوى ظاهرة أدبيّة لا تكاد تشغل حيّزاً قليلاً في حياة العامة، كما يبدو أنّ اللحن في أشعارهم التي وضعوها لا يرقى إلى درجة الظاهرة، بل يبقى مجرد شذرات في قصائد قليلة نادرة لا تؤثر في لغة العامة .

ثالثاً : (صدر اللحن من ذوي الشأن)، أو وقوعه في مجالسهم وسكوتهم عنه، أو التماسهم من يدافع عنهم إن هم وقعوا فيه، أو وقع فيه عزيز عليهم (انظر: سليم، 2006م، ص24) ؛

فكونهم قدوة للعامة، وكون العامة لا يفترضون صدور اللحن أو الخطأ من هذه النماذج العليا بالنسبة لهم، فمن البديهي أن تجد من يقلدهم في أقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم .

ولكن الناظر في لحن ذوي الشأن يدرك أن لحنهم يُعدّ نتيجة لا سبباً؛ لأنّ صدور اللحن عنهم يدلّ على تفشّيه مما أدى إلى وقوعه في كلامهم ومجالسهم، فاللحن سابق، وظهوره في كلام ذوي الشأن، ومجالسهم لاحق له . فمن غير الممكن أن يكون ظهور اللحن في كلام ومجالس ذوي الشأن سبباً للحن .

رابعاً : تنازع النحاة في المسألة الواحدة . مما يجعل العلماء منشغلين في مسائلهم باحثين عن الحجج التي تثبت صحة آرائهم، وتنفي صحة آراء خصومهم، وقد كان الاختلاف النحوي بين علماء البصرة والكوفة جلياً، والذي كان بدوره " يبذد جهود العلماء في مقاومة اللحن من جهة، ويشجّع العامة - واللاحنين بوجه خاص - على ما هم فيه من لحن من جهة أخرى، ما داموا يجدون من علماء اللغة من يصوّب الفاسد، ويقوّي الضعيف ويلتمس الشاهد أيّاً كان . " (سليم، 2006م، ص26)

ويرى الباحث أن سبباً كهذا يجب الوقوف عليه، وتدارسه، ووضع علامات استفهام كثيرة وراءه، فليس لعلماء أجلاء - كعلماء البصرة والكوفة - أن لا يميزوا اللحن من صحيح اللغة، وهم المشهورون بذائقتهم اللغوية، وحافظتهم اللغوية، ودرابنتهم بعلوم اللغة، ووقوفهم على المسائل بالبحث والمدارسة والسبر .

عدا عن أن الخلاف بين العلماء، كان خلافاً قائماً على ما هو صحيح في اللغة، من مثل الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي المتفق على صحته، فمن غير الممكن أن يقووا اللحن، ويعدّوه من قبيل الصحيح في اللغة .

وبتفنيد الأسباب الأربعة السالفة الذكر، لا بد لنا من توضيح الصورة لدى القارئ؛ ليكون فكرة حول حقيقة إن كان العجم هم من أفسدوا اللغة أم لا.

فيرى الباحث أن العجم لا ناقة لهم في إفساد اللغة ولا جمل، ويكمن سر تفشي اللحن في

طبيعة اللغة نفسها، فيرى الباحث . بعد مدارسته لآراء أهل اللغة في موضوع اللحن: أن اللغة العربية تحوي مستويين مختلفين : أما الأول فهو المستوى العامي أو ما ينعت باللغة الأم، وأما الثاني فهو المستوى الفصيح أو ما ينعت بلغة الأدب .

و يتبنى القول بوجود مستويين لغويين عامي وفصيح عدد من علماء اللغة، وعلى رأسهم

الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأقطش، "فهو يفصل لغة المعاش والحياة عن اللغة الأدبية

والرسمية " (انظر: الأقطش، 2007م، ص49) .

ويذكر أن عدداً من الباحثين اللغويين ينكرون أن تكون عربية الأدب الجاهلي التامة الإعراب صورة مطابقة من اللهجات المنقوصة الإعراب ومنهم : بروكلمان، ونولدكه، وفوللز ونالينو، وبلاشير، ومن العرب : إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وأحمد مختار عمر(انظر: المصدر السابق) .

ويتبنى فكرة أن للعربية مستويين : (عامي، وفصيح) الدكتور عبده الراجحي، إذ يرى أن اللغة الأدبية المتمثلة بالمستوى الفصيح لا يمكن أن تكون لغة معاش العرب، ويقول : ونحن لا نستطيع أن نتصور أنهم كانوا يتحدثون في بيعهم، وشرائهم، وهزلهم باللغة ذاتها التي ينظمون بها شعرهم، أو يضعون فيها خطبهم (الراجحي، 1996م، ص49) .

وهذا الرأي هو الذي يركن إليه الباحث ويطمئن إليه، بعد استقرائه وبحثه واستنباطه للأسباب التي أوردها سالفًا، وقبوله الصالح لمنطقه، وردّه الطالح من منظوره.

الخلاصة والنتائج :

خلص البحث في ضوء دراسة اللحن، ونشأته، وأسبابه، وصلة العجم به إلى النتائج الآتية :

1 . أن لا صلة للعجم باللحن في اللغة العربية، و أن كل ما وصلنا من أخبار تدعّم فكرة الصلة الوثيقة بين اللحن، و اختلاط العرب بالعجم، لا تعدو كونها مجرد إخباريات لا صلة لها من الصحة بشيء .

2 . أن الرواة الوضاعين لا صلة لهم بانتشار اللحن وتفشييه .

- 3 . أن صدور اللحن من ذوي الشأن يعدّ نتيجة لا سبباً للحن .
- 4 . أن تنازع النحاة في المسائل النحوية لا يؤدي إلى تفشي اللحن، وتزايدده؛ لأن النحاة لا يتنازعون إلا فيما يتفقون على أنه فصيح غير ملحون .
- 5 . أن اللغة العربية مستويين لغويين : مستوى عامياً يستخدمه العامة، والخاصة في معاشهم العادية، ومستوى فصيحاً يتمثل بلغة الأدب، والمبارزات الأدبية، والقرآن الكريم، والمعاملات الرسمية للدولة .
- 6 . أن أسباب اللحن تكمن في نقص المعرفة اللغوية، وطغيان اللغة العامية على اللغة الأدبية الفصيحة، والخلط بين اللغة العامية، واللغة الفصيحة .

الخاتمة:

وفي محصل الكلام ندرك بالاطمئنان إلى الرأي القائل بوجود مستويين لغويين للغة العربية (عامي، وفصيح) أن السبب الأول وراء اللحن هو نقص المعرفة اللغوية، والسبب الثاني هو طغيان اللغة العامية (غير الرّسميّة) على اللغة الأدبية الفصيحة (الرّسميّة)، والخلط بين اللغة العامية، واللغة الفصيحة .

التوصيات:

يوصي الباحث - نظرًا لما توصل إليه من نتائج - بألا يأخذ الباحثون الإخباريات القديمة على سبيل المسلمات : نظرًا لقيمة قائلها من علماء أجلاء، ونظرًا لكونها أوغلت في العقل مبلغًا كبيرًا؛ مما جعل الجميع يظنّها من البديهيات. ويوصي بتناول مثل هذه الإخباريات بمزيد من البحث والتّدارس وكشف الأسباب الحقيقيّة؛ للتأكد من صحّتها أو تفنيدها بالأدلة المقنعة.

كما ويوصي الباحث بتدارس الأسباب الحقيقيّة وراء اللّحن وتناول الموضوع بشموليّة أكبر بغية الوصول لحلول ناجعة لتفادي ظاهرة اللّحن أو التقليل منها قدر الإمكان.

مصادر البحث (المراجع) :

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين .
- الراجحي، عبده ،1996، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- سليم، عبد الفتاح ، 2006 ، موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2 .

- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد 100 - 175 هـ، كتاب العين، تحقيق المخزومي ، مهدي ، والسامرائي، ابراهيم ، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط الثانية، 1409هـ
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 2009 .
- مطر، عبد العزيز ، 1981 ، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار المعارف، مصر، ط 2.

المجلات و الدوريات :

- الأقطش، عبد الحميد، 2007، حول حقيقة العربية الفصحى، مجلة جرش، العدد الخامس.
- عمارة، حليلة ، صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد السابع والستون .